

الوقف وعمارة المرأة في الإسلام
قراءة معرفية في الخبرة التاريخية
ودلالاتها المعاصرة بالنسبة إلى دور المرأة في التنمية (٢٠)

د/ مني أبو الفضل (٢٠)

هناك محاور محددة يمكن التركيز عليها في تناول موضوع الوقف وعمارة المرأة في الإسلام ، والعنوان الفرعى لهذه المداخلة هو قراءة معرفية في الخبرة التاريخية ودلالاتها بالنسبة إلى المرأة والتنمية اليوم . وتأتي كل هذه المصطلحات التي ذكرتها ؛ لأن الهدف الأساسي من البحث في هذا الموضوع - باختصار شديد - ليس هو التعريف بخبرات أو نماذج تاريخية على هيئة وصف ورصد ، وليس التعامل مع بعض النماذج التطبيقية ، لكن طبيعة البحث في هذا المجال ارتبطت بالاهتمام بوقفة وسيطة ما بين التنظير والتطبيق ، ومن المسلم به أن بعد التنظيري مرتبط بحقل المفاهيم ودلالاتها والأطر المرجعية وكيف يمكن من خلال الاهتمام بهذا بعد النزول إلى مجال تطبيقات معينة للصعود منها مجدداً إلى مجال اختبار وإثراء وتغذية وتطوير الإطار المرجعي والمناهج والأدوات التي تساعدنا على التعامل مع الظاهرة العمرانية كظاهرة اجتماعية من خلال المرأة .

إن الاهتمام بموضوع الوقف وعمارة المرأة تم التعرض له منذ خمسة أعوام من خلال دراسة كانت قد قدمت في مجال التنمية البشرية ، وتم تقديم الوقف كنموذج ل لتحقيق التنمية البشرية ، ومن خلال دراسة حالات تشمل دراسة المرأة أيضاً ، وبهذه المناسبة فإن موضوع اليوم ليس موضوع ورقة بحثية لكنه جزء من سلسلة من الأبحاث الممتدة أو جزء من مشروع معين ، بحيث إنه تم خلق مجال بحثي رصدي لبعض عناصر هذا الموضوع منها وقف المرأة في التاريخ ، وإذا كان مجال البحث في هذا الموضوع له مادة متوافرة ، فإن التحدي أو الإشكالية هي كيفية التعامل على مستوى فكري معرفي مع هذه المادة العلمية المتراكمة .

والسؤال الملح هو : لماذا المرأة والوقف ؟

وأقول : إن ثمة حرصاً شديداً - ونحن هنا نتناول الوقف وعمارة المرأة في الإسلام -

(٢٠) نص تفريغ الكلمة الشفوية بعد تحريرها .

(٢٠) أستاذ العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة .

أو احتجاجاً للتنبيه إلى أن المدخل لتناول موضوع المرأة لا يتم في سياق الخطابات السائدة لا على مستوى الخطاب الأكاديمي أو الخطابات في المجال العملي ، فالخطاب السائد عادة يرتبط بمنظومة حقوقية ؟ حقوق المرأة أي : أن تناول موضوعات وقضايا المرأة يستدعي المنظور الحقوقي الدفاعي أو منظور تحرير المرأة ، والمدخل لتناول موضوع اليوم ضمن البرنامج البحثي الذي يقوم على منهاجية بديلة للتعامل مع الظاهرة العمرانية الاجتماعية الحضارية هو البحث عن تفعيل دور المرأة .

إذا فالمنشور لا يهتم بما إذا كانت المرأة مظلومة أو محققة أو أي شيء من هذا القبيل ، وما إذا كانت المرأة في حاجة إلى ذلك ، لكن هذا المنظور يتناول مستوى آخر من الخطاب حول تفعيل دور المرأة اعتماداً على تشخيص الواقع المعاصر والإشكاليات الحالية ، وبناءً على ذلك فإن هدف هذا الخطاب يرتبط بالبحث عن المرأة والفعالية الحضارية ^(١) ، وماذا كان دور المرأة في الحضارة الإسلامية ، وكأن مستوى الخطاب اختلف عن السابق .

وهذا المجال يرتبط بالتأسيس لحقل دراسات المرأة من منظور حضاري بديل ، وتعريف المنظور الحضاري لا يختصر ولا يقتصر على دراسة الإسلام والمسلمين ، ولكنه يستقى من مصادر معرفية معينة ترتبط بإدخال أبعاد معرفية وقيمية وعقدية واجتماعية ، وتلك الأبعاد ترتبط بالظاهرة العمرانية وتأخذ ضمن منظومتها المعرفية بعد الغيبي لبحث دلالاته وآثاره العمرانية .

إذا نحن ننطلق نحو منظومة معرفية معينة كامنة أو مغيبة عن ساحة المنظومة المعرفية السائدة ، وهنا علينا الاحتراس بأن لا نتحدث في الخطاب العلمي عن ثنائية الغرب / الإسلام ، ولكن نبحث عن مؤشرات موضوعية لخصائص أنماط معرفية وعلى أساسها يتم تفكيك المفاهيم والتعرض للسياسات .

وهذا ينقلنا بالتبعية إلى السؤال التالي وهو : ما المقصود بالقراءة المعرفية ؟ يأتي هذا السؤال في ظل وجود قراءات أخرى أيديولوجية وقراءات سياسية ، زد على ذلك أن طبيعة الموضوعات التي نعرض لها والبيئة التي نعيش فيها وموضوع المرأة بوجه خاص يشير

(١) هناك سؤال يتم طرحه في هذه الآونة هو : هل المرأة العربية أثرت في بيتها من خلال البيت أم العمل ؟ هل فاعلية وإيجابية المرأة في مجال العمارة والمدنية الإسلامية جاءت نتيجة خروجها من البيت أم من مكونتها في البيت ؟ إن الأمر لا يتعلّق بالخروج أو المكوث ، ويعد هذا السؤال بلا معنى في منظومة العمارة ، وهذا ما يؤكد أن هناك أسئلة منهاجية تطرح وتكون خارج المنظومة .

هذه الخطابات الأخرى التي نريد أن نحتاط وأن نضع مسافة بيننا وبينها ، حتى نستطيع أن نتعامل بمستوى فكري وأكاديمي وعلمي ونحدث تراكمًا في رؤية بديلة .

إن القراءة المعرفية تستبطن منظوراً حضارياً مغايراً وإطاراً معيناً ، وترتبط القراءة المعرفية بمنظومة وبنطلق له أدواته وأطروه المرجعية ومفاهيمه ، كما أن هناك خبرة تاريخية تتناول بشكل معين التجربة التاريخية ، وقراءة التاريخ هنا ليس إجحافاً لذاكرتنا أو شحذاً لها أو وصفاً ، ولكن التعامل مع التاريخ في العلوم العمرانية يأتي كما يتعامل العالم في العمل ، حيث توجد الخبرات التاريخية داخل معمل العمران البشري ، فهو إذاً يستدعي مناهج ابن خلدون ؛ ذلك المشروع الخلدوني الذي وصل للتأسيس لعلم العمران البشري وهو يبحث عن إشكالية تاريخية ، ونحن نريد أن نصل إلى قراءة معينة للتاريخ وللخبرة التاريخية ونحن نعيش واقعاً عمرانياً معيناً أو جدلية معينة وقراءة مميزة .

السؤال التالي هو : ما المقصود بعمارة المرأة ؟ ولماذا لا نقول الوقف ودور المرأة في العمران في الحضارة الإسلامية ؟ لماذا نهتم بعمارة المرأة ؟ لأن المقصود هنا بعمارة المرأة هو البحث عن دور وفاعلية المرأة في التشييد العمراني في الحضارة من ناحية ، ومن ناحية أخرى هي تبحث في المنظومة المعمرة باعتبارها - أي : المرأة - المعمرة . ما هي المنظومة التي تسكن ضمير المرأة وعن أي مرأة يجب أن نتحدث ؟ ما هي خصائص هذه المرأة ؟ إذاً هنا منظومة عمرانية culture of life تمثلها هذه المرأة من حيث كيفية نشوء القيم ، الخصائص ، والعلاقة بين العمران والمرأة ، كل هذا في إطار كلي وجزئي ^(١) .

(١) تحضرني ثلاثة مشاهد حول المرأة صاحبة المبادرة في النهوض بعمير البيئة وعمير الأمة :

المشهد الأول : ملائكة وهي سيدة التقى بها ضمن أسرة جاءت إلى الولايات المتحدة في غضون الرحل الحادث من البوسنة ، ومايكل هي أم مسنة نشأت على التدين ، وهذه المرأة فقدت ثلاثة من أشقائها في الحرب ، وكانت تقوم بالزراعة داخل منزلها ، وكان شغلها الشاغل هو الحياة والزراعة ، وشعرت أن الزراعة هو تغيير عن العمارة .

المشهد الثاني : الذي يحضرني هو المرأة الفلسطينية التي تردد أنها ستظل باقية في منزلها لعمره كلما هدمته قوات الاحتلال الإسرائيلي ، وبالتالي يظهر العمق والجذور التي تمثلها المرأة في العمران ، وبالتالي فامرأة العمارة أو العمران موجودة في تراثنا وما زالت تقوم بدورها العمراني المتميز في هذه المنطقة الحضارية .

المشهد الثالث : يتعلق بدور المرأة في الوقف ، ومن خلال النماذج التطبيقية أطرح نموذج أم الأطباء المصريين ، فقد أوقفت هذه المرأة في نهاية حياتها وقفية معينة للأرمام والأيتام في شكل مشروع ، وهذه المرأة كان لها تجربة تمت لأربعين سنة في ميدان العمارة بدأت منذ أوائل الخمسينيات في مصر ، عندما أدخلت مفهوم الطلب الاجتماعي والطلب الوقائي من خلال التعامل مع المرأة الأم ، وكانت هذه السيدة طبيبة أطفال فكان همها هو تربية الجيل الجديد ، وكانت تنازل ثالوث الفقر والجهل والمرض ، وتنجح للطفل المريض في المجتمع ، في إطار رؤية متكاملة لمفهوم الصحة ، ولقد انعكس ذلك في أعمال مؤسسية قامت بها في مجال الصحة ، بدأت =

نقطة أخرى جديرة بالذكر هي أن العمارة والتنمية تحدثان في نفس المكان ، فالتنمية تنتهي إلى حقل معرفي ومنظومي مغاير ، أي : أنه يتم تفكيك التنمية ويعاد التعامل مع عناصرها من خلال ربطها بإطار مرجعي يرتبط بمفهوم العمارة ، وباختصار شديد وجدنا أن الوقف الذي هو عماد العمران الإسلامي أو هو العمود الفقري لها في مجالات شتى ، أنه خلال هذا الوقف كانت المرأة المسلمة في قلب هذه المؤسسة^(١) ، أي : أن هناك علاقة وطيدة بين الوقف والمرأة ، ومن خلال قراءتنا لكل من الوقف والمرأة نجد أن كثرة التعامل مع الوقف يركز على الأبعاد الاقتصادية للوقف أو على دراسات فقهية .

ونحن هنا في معالجتنا للموضوع نتناول الوقف من خلال منظومة جديدة ؟ أي : تناول جديد يرتبط بتفكيك هذا المفهوم أو هذه الظاهرة وإعادة بنائها ، وكل من الوقف من جانب ، والمرأة من جانب آخر تعرّض لأبعاد غير منظورة أو أبعاد معنوية تحتاج إلى أدوات منهاجية للتعامل مع هذه الأبعاد ، والهدف من الرسالة العلمية التي نسعى أن نقوم بها في التأسيس لمنظور حضاري بديل هو تحويل القيم الأخلاقية أو القيم التي توجد في ضمير الأمة ويفهمها الجميع على أنها سلوكيات وواعظ وأخلاقيات إلى أبعاد معرفية ؟ .

وهنا يثار السؤال : كيف نستطيع التعامل مع هذه القيم بحيث تدخل في مناهجنا للارتقاء بها . وهذا هو السبب في أننا دائمًا ما ننتقد النمط أو النموذج البختي السائد

= بالصحة العضوية واقامة مفهوم متكامل لاستواء الصحة ، يجمع بين الصحة العضوية والصحة النفسية والصحة الروحية والصحة العقلية والتشخيص والصحة الاجتماعية . وفي أوائل السبعينيات قدمت مفهوم إعادة التأهيل rehabilitation للحياة العامة المتكاملة . لقد كان هناك شروط معينة لوقفية عام (١٩٩٧ م) للأرامل والأيتام تحمل بصمة وطابع قراءة لامرأة عمرانية وقفت علمها ، فرأس مال الإنسان يدخل فيه مجال علمه ، ثم بنت المستشفيات والمدارس ، وضمن هذه المنظومة كان يرثي البعد الثقافي لتنشئة الشخصية ؛ إذ اهتمت بفكرة تعليم القرآن باستمرار سواء كانت في وقية أطفال مصر أو البوسنة أو غيره ، ولم يكن ذلك شرطًا أو بنداً مستقلاً ، ولكن تعليم القرآن كان مرتبًا بالنفسية والعقلية والاتساع والولاء للطفل في الوقت الذي يتلقى فيه تعليمًا حديثًا .

(١) هنا يظهر السؤال عما إذا كانت المرأة دافعًا للوقف أم أنها كانت مؤسسة له ، وأرى أن استخدام جملة «المرأة في قلب الوقف» تأتي اعتمادًا على أن الوقف كان هو الذي أوجد الحضارة الإسلامية ، والمرأة تلتف لاحتياجات معينة في البيئة ومن خلالها تؤثر ، وبالتالي كانت المرأة مشيدة لمؤسسات ومديرة لكيف تدار بالقدوة والممارسة ، وبالتالي فالمرأة المرية أثرت في يسّتها المحلية في كل حضارات العالم الإسلامي .

أو المنظومة المعرفية السائدة ، ونحن لا ننتقدها لأننا نريد أن نستبدلها لإثبات الذات لكن هذه المنظومة تقصير أو تعجز عن التعامل مع بعض الأبعاد المعنوية ، والدليل على ذلك اتجاهات الدراسات التنموية المعاصرة التي بدأت مع التسعينيات ^(١) ، فعلى سبيل المثال نجد الترجمة العربية لمفهوم التنمية المستدامة sustainable development قد غاب عنها بعد جوهرى ارتبط بنقلة نوعية أو كيفية للمفهوم الأجنبي .

فالقضية ليست الاستدامة ولكن هناك أبعاداً أخرى في هذه التنمية أخذت بعد ذلك شكل التنمية البشرية والإنسانية وما إلى ذلك ، كذلك ظهرت مفاهيم جديدة ، مثل : رأس المال الاجتماعي social capital أو رأس المال الثقافي cultural capital وبالتالي بدأ الاهتمام بمقاييس أو مفاهيم جديدة . وفي هذه الدراسة أقوم بالعرض لمفهوم رأس المال الاجتماعي الثقافي socio-cultural capital .

وقبل التسعينيات كانت دراسات التنمية تهتم بالأبعاد المادية ، وكان رأس المال ينصب على الأبعاد الكمية المادية ، وكجزء من التحول الكيفي في التسعينيات جاءت محاولة التعامل مع أبعاد أخرى لتصبح المشاركة مثلاً من ضمن معايير رأس المال الاجتماعي ، أو الثقة ، وهي أبعاد غير محسوسة أو غير خاضعة للقياس ، وب بدأت الدراسات تهتم بأبعاد معنوية .

وكل ما أحرض على الخروج به من هذه الجلسة هو أن يتعامل موضوع الوقف وعمارة المرأة في الإسلام مع مفاهيم جديدة ، يتم البحث فيها وتطورها منذ ما يزيد عن عقدين لبناء منظور حضاري يتناول تأصيل الأمة ، وتأصيل الكيان الاجتماعي الحضاري ، والبيئة الاجتماعية الحضارية . وبالتالي فالتعامل مع مثل هذا الموضوع يقدم لنا حافزاً ؛ لأن نفعل أو نختبر بعض هذه المفاهيم ونستمر في تطوير وبلورة هذه المدرسة من خلال مفاهيم جديدة تأتي في مجالها كمنظومة التقوى وغيرها .

* * *

(١) ثمة سؤال يعد في محله حول معوقات الخطاب والمشروع الذي نقوم به - نحن من نعمل في المجال الاجتماعي - لبناء منهج متكامل بدليل ، ويأتي هذا التكامل ؛ لأنه ليس المهم هو نقض ونقد المناهج القائمة أو الأطر السائدة ، لكن المشكلة هي كيفية إثراء أو إقامة والبرامج والمحفوظ الذي يمكن أن يفيد في دراستنا .

الامة والامة الثقافية والتنمية

فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذُ الدَّكْتُورُ: عَلَيْيِ جُمِعَةُ مُحَمَّدٍ - مُفْقِي جُهُورِيَّةِ مِصْرُ الْعَرَبِيَّةِ

كمال حطاب	سعید اسماعیل علی	ابراهیم البیومی غانم
محمد بريش	سعید عبد الخالق محمود	ابراهیم كالین
محمد شريف بشير	سيف الدين عبد الفتاح	أسامة و تاضي
محمد علي اذربش	عبد الحميد أبو سليمان	أحمد أحمد جبريل
محمد عمر شابرا	عبد الحميد الغزالي	إيمان نور الدين
محمد همام	عبد الرحمن النقيب	باكيتام الشرقاوي
منى أبو الفضل	عبد الناصر أبو البصل	جمال الدين قطب
نعمت مسثور	علي ليلة	حامد المصلي
وليد منير	عمار علي حسن	حورية مجاهد
	فاطمة العوا	رفعت العوضي
مراجعة و تحرير :	تنسيق علمي وإشراف :	تقديم :
أسامة أحمد مجاهد	رفعت العوضي	عبد الحميد أبو سليمان
أحمد أحمد جبريل	نادية محمود مصطفى	
علياء وجدي		

المجلد الثاني

دار السِّلَامُ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر أيٍ من الجهات المعاونة في طباعة ونشر الكتاب

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار
الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية

الأمة وأزمة الثقافة والتنمية / علي جمعة محمد ...
[وآخ] ؛ تقديم عبد الحميد أبو سليمان . - ط ١ - .
القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
والترجمة ، ٢٠٠٧ م .
٢ مج ، ١٠٠٨ ص ٤٤٢ سـ .
٩٧٧ ٣٤٢ ٤٤٠ تدمك ٥ .
١ - الثقافة الإسلامية .
أ - محمد ، علي جمعة (مؤلف مشارك) .
ب - أبو سليمان ، عبد الحميد (مقدم) .

٢١٤

كَافَةُ حُقُوقِ الْطِبْعَ وَالنِّسْرَ وَالْتَّرْجِمَةِ مَحْفُوظَةٌ

لِلْبَانِشِرِ

دَارُ السَّلَامِ لِلْطِبَاعَةِ وَالنِّسْرَ وَالْتَّرْجِمَةِ

لصاحبتها

عَبْدُ الْفَادِرِ مُحَمَّدُ الْبَكَارُ

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣ م وحصلت
على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة
أعوام متالية ١٩٩٩ م ، ٢٠٠٠ م ، ٢٠٠١
م هي عشر الجائزة توبجا لعقد
ثالث مرضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي مواز لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران
عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشريبي - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٠٤٢٨٠ - ٢٢٠٤٥٧٨ - ٢٧٤١٥٧٨ (+٢٠٢) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (+٢٠٢)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (+٢٠٢)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع
مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (+٢٠٢)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٤٥٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (+٢٠٣)
بريدياً : القاهرة : ص.ب. ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

المحتويات

الصفحة

الموضوع

المحور الثاني : تطبيقات وتجارب في العالم الإسلامي

٥٣٣	أولاً : موقع الثقافة التنموية من تجارب وغاذج تنمية معاصرة	١ - المنظور الثقافي للتنمية في إيران وأبعاده
٥٣٧	د/ محمد علي آذرش	٢ - التنمية والقيم الثقافية : تجربة التنمية الماليزية
٥٠٠	د/ محمد شريف بشير	التعليق
٥٩٩	د/ محمد السعيد عبد المؤمن	٣ - بعد الثقافي للتنمية في إفريقيا
٦١٧	د/ حورية مجاهد	٤ - المدنية والثقافة وسياسة التماضف : الحالة التركية
٦٢٥	د/ إبراهيم كالين	٥ - ثقافة المقاومة ودورها التنموي : دراسة في حدود وإمكانيات التنمية في الحالة الفلسطينية
٦٣٩	أمجد أحمد جبريل	التعليق
٦٦٣	د/ حسن نافعة	ثانياً : خبرات مؤسسية
٦٦٧	١ - مؤسسة الدعوة ودورها الثقافي والتنموي : الأزهر الشريف نموذجاً	الشيخ/ جمال الدين قطب
٦٦٩	٢ - مؤسسة الزكاة : آلية إسلامية لمواجهة أزمة الثقافة والتنمية	د/ نعمت مشهور
٧٠٩	د/ رفعت العوضي	التعليق
٧٣٣	٣ - الوقف وعمارة المرأة في الإسلام : قراءة معرفية في الخبرة	

التاريخية ودلالاتها المعاصرة بالنسبة إلى دور المرأة في التنمية ٥٣٢

د/ منى أبو الفضل ٧٣٧

٤ - دور التليفزيون في التنمية الثقافية للأطفال : مصر نموذجا ٧٤٣

د/ إيمان نور الدين ٧٤٣

٥ - تجربة مكتب منظمة الصحة العالمية الإقليمي لشرق المتوسط ٧٨٩

د/ فاطمة العوا ٧٨٩

التعليق ٧٨٩

د/ نازلي معرض ٨٠٧

٦ - إسهام ثقافة العمل الخيري في التنمية الإنسانية : تجربة جمعية العون المباشر في المجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء ٨١٣

د/ إبراهيم البيومي غانم ٨١٣

٧ - الطرق الصوفية وعملية التنمية في العالم الإسلامي : دراسة في مدى ملائمة ثقافة وحركة التصوف لشروط الإنجاز ٨٥٥

د/ عمار علي حسن ٨٥٥

٨ - مدخل إلى فلسفة الاجتماع الإسلامي : دور الوقف الإسلامي في التنمية الاجتماعية نموذجا ٨٨٩

د/ محمد همام ٨٨٩

التعليق ٨٨٩

د/ محمد عمارة ٩١٥

٩ - الخامات المحلية ركيزة لبناء الذات والبعث الحضاري ٩٢١

د/ حامد الموصلبي ٩٢١

١٠ - نحو ثقافة استهلاكية إسلامية : « صنعوا واستهلكوا إسلامياً وصدروا عالمياً » تجربة منظمة التجارة العالمية في العالم الإسلامي ٩٤٥

د/ أسامة قاضي ٩٤٥

التعليق ٩٤٥

د/ عبد الحميد الغزالي ٩٨٣

التقرير الختامي : قضايا واتجاهات المناقشة ٩٨٧

د/ نادية محمود مصطفى ، د/ سيف الدين عبد الفتاح ٩٨٧